٦

الحجاج البلاغي عند الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي "التشبيه أنموذجًا"

م.م. محمد حاتم فتحي الهيتي أ.د. رميض مطر حمد الدليمي

جامعة الانبار/ كلية الآداب /قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

برز الحجاج البلاغي في العقود الأولى من القرن العشرين، إذ غلبت الصيغة الإعلامية على المجتمع المعاصر، وأخذ دور الاتصال في تعاظم، وأخذت المؤسسات تعتمد على الاقناع في علاقات العمل الجديدة، ونتيجة لذلك أصبحت البلاغة علمًا واسعًا للمجتمع، فيؤكد ذلك رولان بارت في قوله: "لم تعد علمًا خاصًا بالخطاب وإنَّما صارت علمًا عامًا للخطابات كافة". ومن هنا سطع الحِجاج من بين ثنايا الدّراسات الغربية، فتعددت توجهات النَّظريات التي عالجت الحِجاج، بين نظريات تنتمي إلى البلاغة، وأخرى إلى المنطق، وأخرى درست الحِجاج من منظور لساني، ومن منظور نفسي وغير ذلك، وكانت الانطلاقة الأولى والأساسية للحِجاج على يدي شاييم بيرلمان، ولوسي تيتيكا، إذ إن الرجوع الكبير لهذه البلاغة مدين تاريخيًا لظهور كتابهما (مصنف في الحِجاج: الخطابة الجديدة)، الذي يُعد "المعجم الحقيقي المجمل لكلّ أشكال الحِجج وتأثيره".

وقد برع الشهاب الخفاجي في حاشيته باستعمال الحجاج، وكانت عنايته بالحجاج البلاغي كبيرة، وقد يرجع ذلك إلى تفصيله الشرح للآيات بلاغةً ونحوًا ولغةً دون غيره، فقد كانت عنايته واضحة في الحجاج البلاغي في الفنون البيانية دون غيرها، لما تحمله من صور بديعة تستعمل للحجاج والاستدلال.

الكلمات المفتاحية: **الحجاج، البلاغة، الشهاب الخفاجي، التشبيه، التفسير، حاشية الشهاب.**

المقدمة:

أخذ الحجاج البلاغي ينال عناية كبيرة من الباحثين قديمًا وحديثًا لما يحمله من قيمة كبيرة للاستدلال على الفكرة او القول المطروح، ولما يحمله من جمال في أدائه البلاغي الذي ينفتح على توليد حجج واستدلالات وشواهد والتي تكون بمثابة سلسلة من الاستنتاجات التي تكون غايتها تعضيد الفكرة المطروحة، لإقناع المخاطب بها والتأثير فيه.

لقد برع الشهاب الخفاجي كثيرا في تفسيره لكلام البيضاوي باستعمال الحجج والاستدلالات البلاغية، وذلك ظهر واضحًا عند تفصيله للصور البلاغة في الآيات القرآنية، إذ نلحظ حرص الشهاب على الاتيان بالأبيات الشعرية، والأمثال العربية، والشواهد التفسيرية لعلماء سابقين، الغاية اقناع المتلقي بالفكرة التي رام توصيلها، واستمالت عقله إلى تقبلها والتأثير بها، كما يذكر بعض اللطائف البلاغية التي تكون مرافقة للحجج والاستدلالات، لتعطي للنص بهاءً واقناعًا كبيرًا.

وقد أتى هذا البحث الموسوم (الحجاج البلاغي عند الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي "التشبيه أنموذجًا") يحمل مقدمة ثم تمهيد: وسم بـ(حجاجية الصورة البيانية عند الشهاب)، وبعدها أتى البحث الذي فصَّلت فيه الحديث عن الحجاج البلاغي في حاشية الشهاب الخفاجي في فن التشبيه، ثم خاتمة حوت أهم النتائج ثم ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: حجاجية الصورة البيانية عند الشهاب

ترسَّخت الصُّورة في الفكر العربي منذ القِدم، فكانت تأخذ تشكيلاتَها ورسومها من البيئة والمحيط الذي يسكن فيه ذلك العربي، وكان لهذه الصُّورة أثرٌ مهمٌّ في التَّعبير، إذ كانت تمثلُ جذوةَ اهتداءٍ تُعين العربيَّ على بيانِ القولِ وإيضاحِهِ؛ فيأتي بها لأجل أن يصل بمقاله إلى الإفهام.

تعدُّ الصُّورة مشهدًا تعبيريًا حسيًّا يُسخّره الباثُّ في كلامه؛ ليلامس مدركات الحسِّ لدى المتلقين، ويشدّهم إلى الاستسلام للفكرة التي أراد توصيلها، والاقتناع بها. فينبثق لديهم من ذلك الإدراك الحسّي مبدأ التَّصور الذي يمثل استحضار الفكر للصُّور المُدركة التي سبق أن شاهدها وانفعل بها[1]. يقول الجُرجانيُّ (ت:٤٧١هـ):"اعلم أنَّ قولنا «الصُّورة» إنَّما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[2]. فقصد من ذلك بيان معنى التَّصور الذي هو بمثابة التَّشابه والتَّقارب بين الصُّورة المُعبر عنها، والصُّورة المُدركة بالعقل، فيلتمس المتكلم ذلك التَّقارب في التَّصوير؛ ليتحقق غاية القَبول والإِقناع لدى المتلقي بتلك الصُّورة التي أوضحت الفكرة التي رام توصيلها إليه.

والصُّورة قيمة تفاعلية تعبيرية تعطي للنَّص ألوانًا من المشاهد الحسّية المقتبسة والمأخوذة من الواقع، والتي تحمل بعدًا انفعاليًا قابلًا لتحريك المشاعر نحوها، فتكون بذلك نشاطًا حِجاجيًا مؤثرًا في المتلقي. وهذا الأَمر دفع الدَّارسين إلى أن يعنوا أشد العناية بإظهار جمال الصُّور، وبيان حُسن صياغتها في التَّعبير، فكانت العناية منهم بالصُّورة واضحةً في القرآن الكريم، لِمَا وجدوا فيه من قدرة إقناعية كبيرة مؤثرة في المخاطِبين، إذ وُظِّفت الصُّورة في القرآن؛ لتكون حَسمًا للعناد الذي كان عند المشركين إزاء الأطروحات التي عُرِضت عليهم، ودُعُوا إليها، فكانت هذه الصُّورة منطوية على طاقات

([1]) ينظر: في النقد الأدبي: د. عبدالعزيز عتيق: ٨٠.

([2]) دلائل الإعجاز للجرجاني: ٥٠٨.

إقناعية؛ لأنَّها كانت مُنتزَعة من تجارب المتلقين المَّادية، وممارساتهم المعيشية، ومشاهداتهم البصرية، فأتت الصُّورة في القرآن تحاكي ما يحمله العقل العربي من اعتقادات وتخيلات إلى جانب تصويره للحقائق العقلية، والواقع العملي المُعاش كالجوانب التِّجارية، والزِّراعية، والاجتماعية، وغيرها[3].

والصُّورة البلاغية تأخذ بُعدها الحِجاجي من كونِها تثير الانفعالات العاطفية بالمشاهد التَّصويرية التي تَحيك خيوطها من الألفاظ المناسبة، فتنسج من جمال الصِّياغة البَلاغية ما يدهش المتلقي، ويبعث على استمالته، والتأثِير فيه، وتأتي حِجاجية الصُّورة البلاغية من سلسلة علاقات تشترك فيها الخطابة مع البلاغة، إذ إنَّ الخطابة تَطلب الحاجة من البلاغة؛ لتكتسي ألفاظها من أثواب الإقناع والتَّأثير، ومن منطلق تلك الحاجة، فإنَّها تحتاج للصُّور البلاغية وللحِجج والحِجاج؛ ذلك أنَّ التَّأثير والاستمالة يتطلبان الإبانة والوضوح وأساليب الإقناع، ولهذا وُجِد الحِجاج البلاغي الذي تكون فنونه أدوات إقناعية تحتاجها الخطابة بوصفها شاهدًا، وحجةً، ودليلًا، واستدلالًا لما تقوله[4].

والصُّورة البلاغية تتوافر في فنون البيان، وهذه الفنون قد حظيت بعناية كبيرة من العلماء والأدباء والشُّعراء لِمَا علمُوا من جميل ما يفيضه على النَّص، من الحسن اللفظي، والجمال التَّصويري، والبيان في اللغة قد يأتي من "بَان الشَّيءُ وأبان، إذا اتَّضح وانكشف. وفلان أبين من فلان; أي أوضح كلامًا منه"[5]. ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: "إنَّ من البيان لسحرًا"[6]. وقد أوضح ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) الحديث، فقال: "البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظٍ، وهو من الفَهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور. وقيل معناه أنَّ الرَّجل يكون عليه الحقُّ، وهو أقوم بحجَّته من خصمه، فيقلب الحقَّ ببيانهِ إلى نفسهِ"[7].

([3]) ينظر: الحجاج في القرآن: ٥٠٠-٥٠١.

([4]) ينظر: الحِجاج والاستدلال الحجاجي لحبيب أعراب: ١٠٩.

([5]) مقاييس اللغة: ٣٢٨/١، مادة (بين).

([6]) صحيح البخاري: ١٩٧٦/٥، ٢١٧٦/٥.

([7]) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٧٤، مادة (بين)، وذكره ابن منظور في لسان العرب، ونسب القول إلى ابن عباس، ينظر: لسان العرب: ٦٧/١٣، مادة (بين).

وإذا ما تأمَّلنا المَظان البلاغية وطالعنا ما قاله العلماء عن البيان، فإنَّنا نجد أنَّ المعنى اللغوي حاضرٌ في المفهوم الاصطلاحي عندهم، فنرى الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) الذي يعد أول من ألَّف به[8]، يذكر قول واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ) الذي يؤكِّد أنَّ البيان "من أكثر ما تُستَمال به القلوب، وتُثنَى به الأعناق، وتُزين به المعاني"[9]. ثمَّ أوضح مفهوم البيان بقوله: "والبيان اسم جامع لكلِّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السَّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدَّليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسَّامع، إنَّما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[10]. فمفهوم البيان عند الجاحظ يفصح عن عنايته الكبيرة بالفهم بوجه عام، و"بافهام السَّامع وإقناعه، وقمع المجادل وإفحامه"[11] بوجه خاص. وحصل له هذا المعنى انطلاقًا من استيعابه لوظيفة التَّواصل التي تعد الوظيفة الأولى للَّغة[12].

أمَّا الخطابيُّ (ت:٣٨٨هـ) فرأى أنَّ البيان نوعان "بيان يقع به الإبانة عن المراد بأيّ لغة كان، وبأيّ لسان أبان،...والضّرب الآخر منه: بيان بلاغة وحذق، وهو ما دخلته الصّنعة بالتّحبير له، والتَّحسين لألفاظه حتى يروق السَّامعين، ويستميل به قلوبهم، فهو الذي يشبه بالسَّحر إذا خلب القلوب، وغلب على النُّفوس، حتى ربما حوّل الشّيء عن ظاهر صورته، وصرفه عن قصد جهته، فيبرزه للنَّاظرين في معرض غيره"[13]. فنلحظ تفصيل الخطابيّ لصور البيان لدى المتكلم، إمَّا بلغةٍ واضحةٍ غايتها الإفصاح عن المراد، وإمَّا بصنعة لغوية غايتها التَّأثير والإقناع.

([8]) لا يعد الجاحظ أوَل من تكلم عن البيان؛ ذلك أنَّ البيان معهود عند العرب مفهومه، وشكله، وصياغته، إلاَّ أنَّه أوَّل من ألف فيه، إذ جعل لفظتي (البيان والتبيين) عنوانًا لكتابه. ينظر: نظرية البيان بين عبدالقاهر والمتأخرين: د. حسن إسماعيل عبدالرزاق: ١٧.

([9]) البيان والتّبيين: ٣٧/١.

([10]) المصدر نفسه ٨٢/١.

([11]) بنية العقل العربي، د. محمد عابد الجابري: ص٢٥.

([12]) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري: ١٩٤.

([13]) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): ١٩٧٦/٣.

وقد سلك السَّكاكيُّ (ت:٦٢٦هـ) طريقًا منطقيًا في مفهومه للبيان، وقد ربطه برعاية مقتضى الحال، فقال: "وأمَّا علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدّلالة عليه وبالنّقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام؛ لتمام المراد منه"[14]. وأكَّد أنَّ "مَن أتقن أصلاً واحداً من علم البيان... ووقف على كيفية مساقِه لتحصيل المطلوب به أطلعه ذلك على كيفية نظم الدّليل"[15]. فنزع السَّكاكيُّ بهذا المفهوم شرنقة الزَّخرفة اللفظية، والتَّفنن الأسلوبي؛ ليربط البيان بالبعد الإقناعي.

ومن هذه المفاهيم نخلُص إلى أنَّ البيان علم يَطلبُ ذا الفصاحة؛ ليتواشج ذلك العلم مع تعبيره؛ ليكون له رِدءًا في الاستدلال على فكره، وخلجات صدره، فيتكشَّف به قناع المعاني، وحُجب الأماني، حتى إذا حصل ذلك الاقتران، وأشرف القمر على الاكتمال، استمالت القلوب لجماله، وقنعت العقول لمقاله، فَدُحِضت به الخصوم، وغَنِم المتكلم لما صبا إليه، ورام استحصاله.

وفي ضوء ما تقدم سيعمد الباحث إلى بيان القيمة الحِجاجية التي تنطوي عليها الصُّورة البيانية، آخذًا بالحُسبان فاعلية تلك الصُّورة في تعزيز المعنى، وترسيخِهِ في ذهن المتلقي.

حِجاجيَّة الصُّورة التَّشبيهية:

التَّشبيه وسيلة من وسائل التَّعبير التي تعتمد على ربط صورتين مع بعضهما ليكون بينهما تواشج في الصُّورة والصِّفة، أو في الحال والطَّريقة[16]، وقد حظي هذا الفن بعناية العلماءِ والأدباء قديمًا وحديثًا، وقد يعود سبب تلك العناية إلى ما عُرِف عنه أنَّه "يزيد المعنى وضوحًا ويكسِبه تأكيدًا"[17]. والتَّشبيه وغيره من فنون البيان يعد قِبلةَ القاصدين إلى التَّأثير والإقناع، فينشدون به ضالَّتهم، ويُفصحون عن دلائل قولهم، ومرامي قصدهم. وهذا يجدوه في تنوع التَّشبيه، وتنوع صوره، وتنوع

([14]) مفتاح العلوم: ١٦٢.

([15]) المصدر نفسه: ٤٣٥.

([16]) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٧١.

([17]) كتاب الصناعتين: ٢٤٣.

الغرضِ الذي يبتغيه المتكلم من هذه الصُّورة، فيقول القاضيُّ الجُرجانيُّ (ت:٣٩٢هـ): "وللشُّعراء في التَّشبيه أغراض، فإذا شبّهوا بالشّمس في موضع الوصف بالحسن أرادوا به البهاء والرّونق والضياء، ونُصوعَ اللونِ والتمام، وإذا ذكروه في الوصف بالنّباهة والشّهرة أرادوا به عمومَ مطْلعها وانتشار شُعاعها، واشتراك الخاصّ والعام في معرفتِها وتعظيمها. وإذا قرنوه بالجَلال والرِّفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها. وإذا ذكروه في باب النّفع والإرفاق قصدوا به تأثيرها في النّشوء والنّماء، والتّحليل والتّصفية. ولكلّ واحدٍ من هذه الوجوه بابٌ مُفرد، وطريقٌ متميّز"[18].

فنتبين من قول القاضيّ الجُرجانيّ أنَّ الأخذ بالتَّشبيه يكون قصدًا إلى الإفصاح عن غرض المتكلم عند عقد الصِّلة بين المشبه والمشبه به؛ فيأخذ من المشبه به ما يتلاءم مع غرضه؛ غاية منه إلى أن يصل بمقالهِ إلى أبدع تصوير، وأندى تعبير؛ ليجلب إليه الأسماع، ويُدخل إلى القلوب الإقناع.

وقد أتى الحِجاج بالصُّورة التَّشبيهية في القرآن الكريم بكثرة، فنلحظ الصُّورة قد جمعت "بين إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، وتغذية القلوب، وكشفت عن خبيئات المعاني، ترغيبًا وترهيبًا وتحبيبًا وتنفيرًا، ومثَّلت الخفيّ في صورة الجليّ، والغامض في صورة المكشوف، وخاطبت كل حواس الإدراك في الانسان، وكل ملكات الفهم والتَّذوق عند العقلاء"[19].

ومن صور الحِجاج بالتَّشبيه التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾[20].

قال البيضاوي: " ﴿طَلْعُهَا﴾ حَملُها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشَّكل، أو الطّلوع من الشجر. ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالمَلَك. وقيل الشّياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلَّها سمِّيت بها لذلك"[21].

تتجلى حجاجية الشِّهاب الخفاجي في إيضاح المقصد من الصُّورة التي وظّفها القرآن الكريم بين ما هو مدرك حسي، وآخر لا تدركه الحواس بغية لفت نظر المتلقي إلى بشاعة المشبَّه، وهذا الأمر

([18]) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٧٤.

([19]) الموسوعة القرآنية المتخصصة: ٥١٨.

([20]) سورة الصَّافات: الآية ٦٤-٦٥.

([21]) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

دفع أبا عبيدة التّيمي (ت:٢١٠هـ) إلى تأليف كتابه (مجاز القرآن) عندما استقدمه الفضل بن الربيع، للإفادة من علمه، وعندما استجابه لطلبه، وأتى لمجلسه، سأله إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب فقال: "قال الله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وإنَّما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرِف مثله، وهذا لم يُعرف. فقلت: إنَّما كلَّم الله العرب على قدر كلامهم، أمَا سمعت قول أمرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[22]

وهم لم يروا الغول قط، ولكنَّه لمَّا كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السَّائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتابًا في القرآن لمثل هذا وأشباهه"[23].

هذه الحادثة ذاع صيتها في العُرف البلاغي، الأمر الذي دفع الشِّهاب الخفاجي إلى اعتماد الحُجة التَّشبيهية ذاتها؛ بغية الرَّد على بعض الملاحدة، فيقول: "إذ طعن فيه بأنَّه تشبيه بما لا يعرف بأنَّه لا يشترط أن يكون معروفًا في الخارج بل يكفي كونه مركوزًا في الذِّهن والخيال"[24]. مُبينًا أنَّ هذه الآية عقدت الصِّلة بين صورتين الأولى: من الواقع، وهي صورة الشَّجرة التي تحوي السَّاق، والأوراق، والأغصان. والثانية: صورة غير واقعية وليس في عقل المخاطب نتائج عن كيفية تشكلِّها إلاَّ أنَّه يتخيلها شديدة القبح في هيئتها وصورتها؛ ولأنَّ هذا المُتخيَّل يحتاج إلى بيان وإيضاح حتى يكون مركوزًا في العقل، أتى الشِّهاب بدليل شعريٍّ كما أتى به أبو عبيدة، الذي يُعد حُجةً على وجود معناه في ذهن النَّاس قديمًا، فيفسر الشِّهاب تلك الصُّور التي عهدها العرب في أشعارهم، فيقول: "ألا ترى امرئ القيس وهو ملك الشعراء يقول:

وَمسنونة زرق كأنياب أغوال[25]

([22]) ديوان امرئ القيس: ص١٣٧.

([23]) معجم الأدباء: ٦/٢٧٠٦.

([24]) حاشية الشِّهاب : ٨/٨١.

([25]) ديوان امرئ القيس: ص١٣٧. وتكملة البيت:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهو لم يرَ الغول، والغول نوع من الشَّياطين؛ لأنَّه في خيال كل أحد مرتسم بصورة قبيحة وإن كان قابلًا للتَّشكل، كما أنَّهم إذا استحسنوا شيئاً قالوا: ما هو إلا مَلَك كما قرّره أهل المعاني"[26].

فنراه يؤكد أنَّ هذا التَّشبيه يؤتَى به للشَّيء القبيح ممَّا يرتضيه العقل، وإن لم تكن صورة رؤوس الشَّياطين مُشَاهَدة حقيقةً، وبيَّن أنَّ القرآن أتى به؛ ليصف قبحَ منظرها على طريق التَّخيل، وهذه الصُّورة لم يقبلها بعض الملاحدة –بحسب تعبيره– لكونها غير معروفة لا في الذهن ولا في الخارج[27]، وقد وضح ابن سنان الخفاجيُّ (ت:٤٦٦هـ) صورةَ ذلك المتخيل إذ يقول: "فإن قيل: قد مضى في كلامكم أنَّ المشبه به يجب أن يكون معروفاً واضحاً أبين من الشَّيء الذي يشبه، فما تقولون ...ورؤوس الشياطين غير مشاهدة، قيل: إنَّ الزَّقوم غير مشاهد ورؤوس الشَّياطين غير مشاهدة إلاَّ أنَّه قد استقر في نفوس النَّاس من قبح الشَّياطين بما صار بمنزلة المشاهد كما استقر في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة المشاهد"[28]. وهذا الكلام يوضح ما ذهب إليه الشِّهاب في الاستدلال والحِجاج بأنَّ هذا التَّشبيه ممَّا وقرت صورته في العقل؛ لبيان قُبحيَّة الموصوف، وإن لم تكن هيئتها مدركة فيه، فيؤتى بها لبيان بشاعة المنظر، وسوء المأكل والمشرب.

فنخلُص من بيان الشِّهاب أنَّ التَّشبيه في هذه الآية تكتنز شحنة حِجاجية إقناعية أكثر من كونها جمالية يتخللها الزَّخرفة اللفظية، والتَّفنن الأسلوبي، فللتأثير لذةٌ يستطعمها القارئ في العبارات التي يلفُّهَا الغُموض، وتستند إلى إعمال الفكر في وصول إلى المقاصد التي تحملها. فنلحظ أنَّ الشِّهاب وضع نفسه في دائرة الخطاب، فافترضَ سائلًا كما هو حال أبي عبيدة حين عَرض عليه السَّائل ما يجهل جوابه، فعدَّ الشِّهاب السَّائل مبتغيًا المفهوم العميق لا المفهوم السَّطحي، فاصطاد من معين أبي عبيدة الحُجةَ، وقدمها إليه، وأشرك بالشرح كل الآليات الحِجاجية الإقناعية التي استعملها صاحب (مجاز القرآن) في جوابه، حتى يصل بمقاله إلى الاستحسان الذي وصل إليه أبو عبيدة في محاورته، فضمَّن الشِّهاب في حجته التَّشبيهية استدلالًا صحيحًا مأخوذًا من سابقيه، وهذا الاستدلال

([26]) حاشية الشِّهاب : ١٨/٨.

([27]) ينظر: المصدر نفسه.

([28]) سر الفصاحة: ٢٥٤–٢٥٥.

"يكون فيه الارتباط بين المقدمات والنتيجة مطبوعًا بخاصية الضرورة، حيث لا تكون النتيجة كاذبة إذا كانت المقدمات صادقة والاستدلال صحيحًا"[29].

ومن صور التَّشبيه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ﴾[30].

قال البيضاوي في تفسيرها: "أي فألقاها فصارت ثعبانًا، واهتزت فلمَّا رآها تهتز ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الهيئة والجثَّة أو في السُّرعة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ﴾ منهزمًا من الخوف ولم يرجع"[31].

أوضح الشِّهاب في هذه الآية وجه التَّشبيه في التَّحولات التي حصلت للعصا التي ألقاها سيدنا موسى ÷، وذلك من بيانه لقول البيضاوي، فقال: "فقوله: في الهيئة والجثَّة إشارة إلى أنَّ لها أحوالاً مختلفةً تدقُّ فيها وتغلظ، وما بعده إشارة إلى أنَّ التَّشبيه باعتبار سرعة حركتها، وخفته، فلا ينافيه قوله في بيان الجمل المطوية، فصارت ثعبانًا، واهتزت بناءً على الثّاني، وعلى الأوّل أيضًا بناءً على أنّ الجانّ يُطلق على ما عَظُم منها، على أنَّه لم يقل: فإذا هي جانٌّ، حتى ينافيه، كما توهم، فتأمّل"[32].

لا شك أنَّ الشِّهاب الخفاجي في حجَّته التَّشبيهية استند إلى حركة العصا، وسرعتها، فتولد لديه هذا التَّصور؛ ليقارنها بأمرين اثنين: إمَّا أن يكون وجه الشَّبه في الهيئة، وأمَّا أن يكون في سرعة اهتزازها وتقلبها، ذلك أنَّه تعالى شبَّه العصا وهي تهتز بالجانّ "من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار"[33].

فنلحظ من بيان الشِّهاب للصُّورة التي حملتها هذه الآية أنَّها حملت بعدًا انفعاليًا قابلًا لتحريك المشاعر نحوها، فأعطت صورة الاهتزاز والحركة نشاطًا حجاجيًا مؤثرًا في ذهن المتلقي، وهذا نلمسه في ذكر الشِّهاب للاستدلالات التي توضح وتبيّن صورة الأمر الجلل الذي حصل لسيدنا موسى ÷، وكيف أنَّ هذه التَّقلبات في الهيئة أدخلت الرُّعب والخوف في قلبه ÷، فابتعد مهرولًا خائفًا، وإنَّ ذِكر

([29]) الصِّلة بين التَّمثيل والاستنباط، بناصر البعزاتي: ٢٤.

([30]) سورة القصص: من الآية ٣١.

([31]) تفسير البيضاوي: ١٧٧/٤.

([32]) حاشية الشِّهاب : ٢٩٦/٧.

([33]) مفاتيح الغيب: ٥٩٤/٢٤.

الشِّهاب وبيانه لمراحل نشوء تلك التَّغييرات في العصا بعد التَّحويل؛ حتى يضع الدَّليل الواضح؛ لفهم السِّياق، وإقناع المخاطب بعظيم الخوف التي اعترى سيدنا موسى ÷، إذ يقول: "أنَّها سمِّيت حيَّة، وتارة ثعبانًا، وتارة جانًّا، وهي واحدة، والحيَّة وان عمَّت أصنافها، لكنَّ الثُّعبانَ العظيمُ من الحيَّات، والجانَّ الدقيقُ منها، فبينهما تناف، فدفعه بأنَّه باعتبار أطوارها وحالاتها، فإنَّها في ابتداء الانقلاب كانت دقيقة، ثم تورمت وانتفخت، فتزايد جرمُها في رأي العين، فأريد بالجانِّ أول حالها، وبالثّعبان مآلها، أو أنَّ جرمَها جرمُ ثعبان، وهي في خفتها وسرعة حركتها وقدرتها على الحركة والانتصاب كالجانِّ"[34]. فهذا التَّوضيح المفصل من الشِّهاب ؛ يؤكد أنَّ هذا النَّص يحتاج إلى مزيد من البيان حتى يخفض له السَّامع جناح القبول، ويسلم للفكرة التي أبان جوانبها في النَّص المَقول، ولذلك وضَّح الشِّهاب من هذه الصُّورة الحِجاجية حقيقتين، الأولى: حقيقة التَّحول، وهو قوله: "إشارة إلى أنَّ لها أحوالاً مختلفةً تدق فيها وتغلظ... "[35]. والثانية حقيقة الاهتزاز والاضطراب، وكلاهما ممَّا يُدهش ويُستَغرب، أمَّا حقيقة التَّحول فهو معجزة وَهبها الله تعالى لسيدنا موسى ÷، وهذه الحقيقة تحتاج إلى إيمان ثابت بقدرة الله سبحانه وتعالى عند المتلقي، أمَّا الحالة الثانية وهي عظيم التَّحول والاهتزاز والذي يفسره خوف سيدنا موسى ÷ فقال تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾[36]. فهو بيان وتصوير لما آل إليه حال سيدنا موسى ÷ بعد رؤيته للمشهد، فنتبين من توضيح الشِّهاب أنَّ الله سبحانه وتعالى أتى بالتشبيه؛ ليكون دليلًا على بيان حال العصا؛ وحتى يُثبّت تفسير تلك التَّحولات في ذهن المتلقي، ويصور عظيم الحدث لسيدنا موسى ÷، وحتى يؤمن المخاطب ويقتنع بما أراده الله سبحانه تعالى توصيله إليه.

فالصُّورة الواردة في هذه الآية أتت منطوية على طاقة اقناعية، مستندة على حس "منتزع من تجارب المتلقين المادية وممارستهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ومن سلوكهم اليومي"[37]، ممَّا جعل الإقناع والتأثير واقعًا في نفس سيدنا موسى ÷، فنجد أنَّ التَّشبيه في هذه الصُّورة لم يأت حلية لفظية فحسب انَّما أتى حجاجًا إقناعيًا، إذ لعبت أداة التَّشبيه (الكاف) دورًا فاعلًا في الربط بين طرفي الصُّورة، ذلك أنَّ "الحرف أداة في التركيب لا اعتبار لها ولا معنى إلاَّ من خلال وظيفة الرَّبط بين عناصر

([34]) حاشية الشِّهاب : ٦/٣٣٨-٣٣٩.

([35]) المصدر نفسه: ٧/٢٩٦.

([36]) سورة النَّمل: من الآية ١٠، وسورة القصص: من الآية ٣١.

([37]) الحجاج في القرآن: ٥٠٠.

الكلام"[38]. فنلحظ استغلال الشِّهاب الخفاجي للطاقة الاقناعية في التَّشبيه؛ وذلك لتسويغه حركة العصا وسرعة اهتزازها، فأراد أن يُقنعَ السَّامع أنَّ العصا أشبهت الجانَّ في تقلبها وحركتها، ولم تكن هي جانَّ كما توهم من ذهب هذا المذهب[39]. فهذه الصُّورة تحمل بعدًا حجاجيًا اقناعيًا تبين مآل العصا بعد التحول، ومآل موسى ÷ بعد المشاهدة العينية لها، وهذا ما أوضح معالمه الشِّهاب في تفسيره، إذ إنَّ الروابط الحجاجي هي "جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستغلها الباث؛ ليربط بين مفاصل الكلام، ويصل بين أجزائه، فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسسُ الخطاب ضروريةً؛ لتضطلع الحجة المعتمدة بدورها كاملًا لا نقص فيه"[40].

ومن صور التَّشبيه ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[41].

قال البيضاوي: "وكان حقُّ الكلام: أفمن لا يخلق كمن يخلق، لكنَّه عكس تنبيهًا على أنَّهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهًا بها، والمراد بمن لا يخلق كل ما عُبِد من دون الله سبحانه وتعالى مُغلّبًا فيه أولو العلم منهم أو الأصنام، وأجروها مجرى أولي العلم؛ لأنَّهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم، أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق، أو للمبالغة، وكأنَّه قيل: إنَّ مَن يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بما لا علم عنده"[42].

تجلت فاعلية المُحاجَجة في تفسير الشِّهاب لهذه الآية، إذ أبان القصد والمراد منها، بسرد الحِجج، والاستدلالات، والشَّواهد، فأكَّد إلزام عبدة الأصنام بالحُجة، والدَّليل الملموس، والمشاهد، إذ هم يرون عظيم ما بَرئَ سبحانه وصوَّر، وحُجَّة ذلك الإلزام إنكاره لتشبيههم الذَّات المقدسة بالحجارة، إذ أكد وضاعة المشركين، وضعف حيلتهم أنَّ قدَّم خلق المخلوقين على عظيم صنيع الخالق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه، فنراه يبرهن على تصورِّه الحِجاجي بتحليله وتفسيره لمضمون مراد الله تبارك وتعالى من هذه الآية، فيقول الشِّهاب : "أي حقُه؛ لأنَّ المقصود إلزام عبدة الأصنام، وسمَّوها آلهة تشبيهًا بالله،

([38]) قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج التأويل الاعجاز)، الهادي الجطلاوي: ٥٢١.

([39]) ينظر: حاشية الشِّهاب: ٢٩٦/٧.

([40]) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٣١٨.

([41]) سورة النحل: الآية ١٧.

([42]) تفسير البيضاوي: ٢٢٤/٣.

وهم جعلوا غير الخالق مِثله فكان حقُّه، أفمن لا يخلق كمن يخلق"[43]. فهذه الآية أتت بعد أن أقام الله تعالى الدَّلائل على انفراده سبحانه بالخلق ابتداءً من ذكره لخلق السَّماوات والأرض، وإثبات ما فيها من الحقائق المعلومة، فكانت هذه الآية بمثابة النتيجة لما سبق ذكره من أدلة؛ إنكارًا على المشركين[44].

فنلحظ انتقال الشِّهاب بين الاستدلالات؛ لإقناع المتلقي بالفكرة التي يريد توصيلها، ويرسخ في ذهنه أنَّ هذا التَّشبيه حصل بين صورتين: صورة تمثِّل القدرة والتَّمكين، وصورة أخرى تمثِّل العجز والقصور، فأكّد أنَّ المشركين لغفلتهم وجهلهم جعلوا التَّساوي بين الله تبارك وتعالى القادر المصوِّر الضَّار النَّافع، وهذه الأصنام التي ليس لها حول ولا قوة، ولا حِراك ولا نفع، لذلك أتى التَّعبير القرآني يحمل الحِجاج البلاغي التَّشبيهي؛ ليؤكد ذلك العمى والجهل الذي غَشِي المشركين، وليبيّن تلك الصَّورتين اللتين تحملان الإنكار والاستغراب، فنلحظ أنَّ الشِّهاب يعضَّد تفسير هذه الآية بالدَّليل البلاغي، لكي يحمل تفسيره بُعدًا حِجاجيًا إقناعيًا لِما أراد بيانه وتوضيحه؛ ليستميل السَّامع، فيغرس في ذهنه القبول والاقناع بمراد الله تبارك وتعالى، فيقول: "ووجه الجواب أنَّ وجه التَّشبيه إذا قرن بين المشبه والمشبه به رجع التَّشبيه إلى التَّشابه، فيقال: وجه الخليفة كالقمر، والقمر كوجه الخليفة، والمشركون عاملوا الأصنام معاملة الإله الخالق، إذ سموها آلهة، وعبدوها، فلم يبق عندهم فرق بينها وبينه – تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا– فحصل التَّشابه، فلذا عبَّر بما ذكر"[45]. فاستعماله لتلك الصُّور التَّشبيهية البلاغية يعد "سعيًا واضحًا إلى تقديم تفسيرات حِجاجية وظيفية للوجوه البلاغية...وهي تسهم في تقوية توجيه المتلقي نحو النَّتيجة المتوخاة"[46]، وهذا التَّساوي في العبادة أوضحه الزَّمخشريُّ حين قال: "جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه، والعبادة له، وسوّوا بينه وبينها، فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيهًا بها، فأنكر عليهم ذلك بقوله: أفمن يخلقُ كمن لا يخلق"[47]. وهذا الرَّأي عارضه الطِّيبيُّ (ت:٧٤٣هـ) الذي يؤكد أنَّ المشركين لم يشبهوا الخالق بالأصنام حتى ينكر عليهم، إنَّما شبهوا الأصنام بالخالق، لما علموا من عظيم الخالق دون أصنامهم، فكان اللازم في الآية أن

([43]) حاشية الشِّهاب : ٥٦٥/٥.

([44]) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٣/١٤.

([45]) حاشية الشِّهاب : ٥٦٥/٥.

([46]) في بلاغة الحجاج لمحمد مشبال: ٣١٢.

([47]) الكشاف: ٥٩٩/٢.

يقال: أفمن لا يخلق كمن يخلق[48]. فاستقى الشِّهاب من هذه التفسيرات ما أكمل الصُّورة في ذهنه، وأغدق المداد لتوضيح ذلك بسيل دهمهِ، فنلحظُ ايراده رأيَ الزمخشريّ؛ ليسند به توضيح مقاله، فيقول: "قال الزَّمخشري: أو يكون المعنى أمَّن يخلق من أولي العلم كمن لا يخلق منهم، فكيف بمن لا علم عنده، كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾[49]، يعنى أنَّ الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب؛ لأنَّ هؤلاء أَحياء وهم أموات، فكيف تصح لهم العبادة؟"[50]. وأكَّد البيضاوي أنَّ هذا الرأي يأتي للمشاكلة بينه وبين من يخلق من العباد أفعاله، أو للمبالغة[51].

فنجد أنَّ غاية الشِّهاب في إيراد تلك الآراء تعضيد بيانه بالأدلة والحِجج التي استند إليها السَّابقون؛ ليكون المقال مقنعًا مؤثرًا في السَّامع، فنلحظ تفصيله القول، وبيانه المقصود، فأكَّد أنَّ لهذه الآية وجهين: وجه تشبيه بين الله تبارك تعالى والأصنام، ووجه تشبيه أولي العلم الذين يخلقون والذين لا يخلقون، وقد أنكر ابن منير (ت:٦٨٣هـ)[52] الوجه الثاني للزَّمخشري فقال: " هو تحوّم على أنَّ العباد يخلقون أفعالهم، وأن المراد إظهار التَّفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق... واعتقد أنَّه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذه التَّأويل، ويتمنى لو تم ذلك، وما كل ما يتمنى المرء يدركه"[53].

ونرى الشِّهاب بعد بيانه الوجه البلاغي للآية مستندًا إلى الحِجج بنقل الآراء للعلماء، ينظر من زاوية أخرى للنَّص القرآني، فيجد فيه وجهًا تشبيهيًا آخرًا، فيبين صورته، فيرى أنَّ هذا التَّشبيه يمكن عدَّه تشبيهًا مقلوبًا، إذ يقول: "أو هو من التَّشبيه المقلوب إذ من حقِّ المشبه أن يكون أحط من المشبه به

([48]) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب : ٩٧/٩.

([49]) سورة الأعراف: من الآية ١٩٥.

([50]) الكشاف: ٥٩٩/٢.

([51]) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٢٣/٣.

([52]) وهو القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذاميُّ الإسكندرانيُّ المالكيُّ (ت:٦٨٣هـ)، كان إمامًا في النحو والأدب والأصول والتَّفسير، له مصنفات منها: الانتصاف من الكشاف. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ٣٨٤/١.

([53]) الكشاف: ٥٩٩/٢ الهامش.

فيما وقع في المشبه، فإذا عكس كان فيه مزيد تقريع وتجهيل، وكلام المصنف رحمه الله تعالى يحتمل هذين الوجهين"[54].

وحُجَّة الشِّهاب في أنَّ التَّشبيه أتى مقلوبًا أنَّ صورة المشبه به وهي عبادة الأصنام أحط مكانة ومنزلة من صورة المشبه وهي عبادة ذي الجلال والاكرام، فأعطى حجاجًا إقناعيًا يثبت الوجه الآخر للتَّشبيه في الآية الكريمة، فيؤكد أنَّ القلب الحاصل في التَّشبيه يحمل المزيد من التَّقريع والتَّجهيل، وحجته في ذلك قصد المصنف الذي حمل هذين الوجهين.

وقد يكون الشِّهاب قد استند في حُجَّته هذه إلى التَّوجيه البلاغي الذي أوضحه السَّكاكيُّ في هذه المسألة حين قال: "ويظهر من هذا أنَّ التَّشبيه إذا وقع في باب التَّشابه صح فيه العكس بخلافه فيما عداه، وكان حكم المشبه به إذ ذاك غير ما تلي عليك"[55]. فقصد السَّكاكيُّ أنَّه إذا أُرِيد إلحاق النَّاقص بالزائد في وجه الشَّبه حقيقةً أو ادعاءً، وكانت الغاية مجرد الجمع بين صورتين في أمر، فالأفضل ترك التَّشبيه إلى الحكم بالتَّشابه؛ ليكون كل صورة من الطرفين مشبهًا ومشبهًا به؛ حتى لا يلتبس ترجيح أحد المتساويين على الآخر[56].

فنخلص إلى أنَّ الشِّهاب حين أوضح التَّشبيه في هذه الآية الكريمة، لم يأتِ بالتفسير دون أدلة تسنده، فيتوكأُ عليها لاستمالة ذهن السَّامع إليه، وإقناعه بما يمليه عليه، فإيراده الأوجه البلاغية للتشبيه حملت أدلة بلاغية، تُواشِجها آراء للعلماء التي تُعضد وتقوي غاية التَّشبيه فيها، لتكون له حِجاجًا، واستدلالًا، وشواهدًا، تُقنع من سمعها أو تلقاها، فكانت غاية التَّشبيه الواردة في النَّص القرآني المُفسر إنكار تشبيه عبادة الأصنام بعبادة الله تبارك وتعالى؛ ذلك أنَّه إذا لم يصح تشبيه أولي العلم بالذَّات القدسية، فكيف بتلك الجمادات! تعالى الله عمَّا يصفون ويقولون ويعبدون، فهذه الحجاجية البلاغية التي اعتمدها الخفاجي تُشير إلى أنَّ فاعلية التشبيه تتجلى في عدم ألفته، والكشف المباشر عن معانيه؛ لأنَّ الحجاج يُعضده ويعزز معناه، فضلًا عن فرض تأويلات معينة وإقصاء أخرى، "ويحدث أن يقترح

([54]) حاشية الشِّهاب : ٥٦٦/٥.

([55]) مفتاح العلوم: ٣٤٦.

([56]) ينظر: بغية الإيضاح: ٤٢١/٣.

المحتج لقضية ما أكثر من تأويل لحدثٍ معينٍ، أو وضعيةٍ محددةٍ، لكنَّه لا يرمي مع ذلك إلى تحقيق الموضوعية بقدر ما يحدد إطارًا لحِجاجه"[57].

وكذلك أتت صور من التَّشبيه سَعَى الشِّهاب إلى إبانتها وتوضيحها بالأدلة والحِجج، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾[58].

قال البيضاوي: " ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ ... والمراد بالطيّ ضد النَّشر أو المحو من قولك: اطو عنّي هذا الحديث، وذلك لأنَّها نشرت مظلة لبني آدم، فإذا انتقلوا قوّضت عنهم،... ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ كطي الطومار[59] لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه"[60].

تَكمن فاعِلية الحِجاج البلاغي في بيان الكيفية التي تكون عليها السَّماوات يوم القيامة، وكيف يُفعل بها، فجاء التَّشبيه؛ ليكون دليلًا كاشفًا عن حال السَّماء، يقول الشِّهاب الخفاجي: "قوله: (أو المحو) إلى الإفناء والإزالة، فالتَّشبيه باعتبار أنَّه بِطَيّه يُخفي ما فيه؛ أو لأنَّه يُرفع بعد الطيّ فلا يُرد"[61]. الأمر الذي دفعه إلى الاستناد في هذا الدليل إلى آراء المفسرين؛ بغية تعضيد الفكرة الكامنة في ذهنه، فاتضح له أنَّ السَّبب الذي يحمله الطيُّ للسَّماوات يكون بإخفاء ما يحدث فيها، وما يُكتَب للعباد، فتكون حال طيّها كحال طي السِّجل السَّاتر الذي يُخفي ما يوجد بباطنه[62]، فالشِّهاب أتى تفسيره يحمل بعدًا حجاجيًا إقناعيًا، ليوجه دُفَّةَ الأذهان إلى مرسى القبول والاقناع بما رام تفسيره، وبما أرادت الصُّورة التَّشبيهية بيانه، إذ أوضح الشِّهاب الغاية من الطيّ، وعلاقة الدّلالة اللفظية بالصُّورة التَّشبيهية، وذلك واضح في بيانه للمعنى التَّشبيهي؛ ليقرب له الوجه الرَّابط بين المشبه والمشبه به، فأوضحَ بأدلةٍ وشواهدٍ مقتبسةٍ من المشاهدِ العينية؛ لتقريب القول إلى الأذهان، وإشباع المقال بالحِجج للاقتناع وللتأثير بالمخاطب، فقد بيَّن الشِّهاب أنَّ السَّماوات قد آلت إلى انتهاءِ ما كُتِب لها فعله، وهو

([57]) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ١٨٧.

([58]) سورة الأنبياء: من الآية ١٠٤.

([59]) ويعني الصحيفة، الذي تصنع من ورق البردي الذي يُلف فلا يُعرف ما كُتب بداخله. ينظر: المخصص: ٨/٤.

([60]) تفسير البيضاوي: ٦١/٤-٦٢.

([61]) حاشية الشِّهاب: ٤٨٠/٦.

([62]) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٩٠/٢٢.

سترُ العباد وغيره، فكأنَّها طول مدة وجودها ساترة ومستوية حال السِّجل "المسوّى والمهيأ"[63]، للكتابة، وما إن ينقطع سيل المداد على سطحه، حتى يطوى ويرفع عن مكانه. فنشاهد الشِّهاب يتنقل من دليلٍ إلى آخرٍ؛ ليبيّن ويوضّح ما فسره البيضاوي لمراد الآية الكريمة، فالغاية إيصاله المعنى إلى المتلقي، وليؤكّد ما ذهب إليه الزمخشريُّ أنَّ الله تعالى "كما أوجده أولًا عن عدم يعيده ثانيًا عن عدم"[64].

وقد انتقل الشِّهاب من معرضِ حديثٍ يوضحُ ويفسرُ غاية التَّشبيه إلى معرضٍ آخرٍ يعارض وينكر الأوجه الأخرى التي فسرت التَّشبيه عند العلماء السَّابقين، ليعرض الأدلة والحجج التي تبرهن حجيَّة قوله، وصحة دعواه في تفسيره لمراد الله تبارك وتعالى، فنجد الشِّهاب يعارض وجهًا آخرًا نقله البيضاوي للتَّشبيه، الذي يقول فيه: "وقيل السّجل مَلَك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه، أو كاتب كان لرسول الله ﷺ"[65]. فأكَّد الشِّهاب أنَّ هذا الوجه يُزيل حسن التَّشبيه في النَّص، ويلغي الصُّورة البيانية فيه، فيقول: "قوله: (قيل السجل مَلَك...) عرضهُ لغرابته، وعدم حسن التَّشبيه فيه، إذ ليس المشبه به أقوى ولا أشهر، وقوله: أو كاتب. قولٌ واهٍ جدًا؛ لأنَّه لم يُعرَف أحدٌ من الصحابة اسمه سجل، وقيل: السجل بلغة الحبشة الرجل، فلعله مراده وعلى كل حال، فلا حسن للتَّشبيه كما مرَّ"[66]. وهذا التفصيل في الاعتراض يعطي دلالة كافية على توجيه الشِّهاب المتلقي نحو الدلالة التي يحقق التَّشبيه فيها أعلى وظيفة إقناعية، وكذلك حتى يثبت في ذهن المخاطب أحقية المعنى المراد من النَّص في تصوير طيِّ السَّماء كما يُطوى الطومار حين ينهي الكاتب المراد فيه، إذ يؤكد ذلك في بيانه لهذا المعنى في قوله: "وإنَّ السِّجل بمعنى الطومار التي يكتب فيه، والكتاب بمعنى الكتابة..."[67].

فنلحظ تأكيد الشِّهاب لحجاجية القول في استدلاله لصورة الطيِّ الذي يكون في السَّماوات، يعد بيانًا وتوضيحًا للحركة والاضطراب الذي سيلحق بتلك السَّماوات، والتي تتميز بِعِظَيمها وإحاطتها الكون، وبأنَّها ستَؤُول إلى هيئة لُفافة كتاب ترفع من فوق الخلائق، وصورة المشهد العجيب للرفع فسَّرها البيضاوي في قوله: (قوّضت)، وأبان الشِّهاب معنى التَّقويض بدليل من الواقع المشاهد؛ ليكون معنى

---

(63) حاشية الشِّهاب : ٤٨٠/٦.

(64) الكشاف: ١٣٧/٣.

(65) تفسير البيضاوي: ٦٢/٤.

(66) حاشية الشِّهاب: ٤٨٠/٦.

(67) المصدر نفسه.

الطيّ مركوزًا في ذهن السَّامع، فيقول: "وقوّضت بالتشديد بمعنى أزيلت، يقال: قوّضت الخيام، إذا رُفِعت، وفي نسخة فوضعت، وهي بمعنى: أنزلت، وأزيلت عن مقرّها، من وضعتُ الحِملَ عن البعيرِ"[68]. فنجد الشِّهاب يعضِّد ويثبّت أركان قوله بالحِجج والشواهد المأخوذة من واقعه، بغية توشيح المقال بطاقة حجاجية قوية، تستند في قوتها إلى الطَّاقة الكامنة في عرض الأدلة عند كل بيانٍ وتوضيح، فاجتمع في قوله التَّعضيد بآراء العلماء السَّابقين، والاستدلال المتوشح بالمشاهد العينية الملتقطة من الوقائع والأحداث اليومية. لحملِ المتلقي على الإذعانِ لما لهذه الاستدلالات والحجج من طاقة حِجاجيَّة مائزةٌ، خصوصًا وأنَّ الشِّهاب يستثمر من الواقع أقوى الاستدلالات، وأقرب المشاهد؛ ليضعها في تفسيره، فيمنحه دقة في الحجة، وصحة قوية في الدعوى عند المتلقي، فترى الخفاجي في حجاجه البلاغي استند إلى الآليات الحجاجية التي من شأنها تعضيد الفكرة الكامنة في ذهنه؛ لأنَّ الخطاب الحجاجي "إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[69].

وكذلك أتت صور أخرى في الحاشية تبيّن الحِجاج في التَّشبيه عند الشِّهاب، ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [70].

قال البيضاوي: " ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: الآخذون له، وإنما ذكر الأكل؛ لأنَّه أعظم منافع المال، ولأنَّ الربا شائع في المطعومات، وهو زيادة في الأجل،...﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم. ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إلا قيامًا كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أنَّ الشَّيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء. ﴿مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ أي: الجنون، وهذا أيضًا من زعماتهم أن الجنيَّ يمسه فيختلط عقله، ولذلك قيل: جنَّ الرَّجل...أي لا يقومون

([68]) حاشية الشِّهاب: ٤٨٠/٦.

([69]) اللغة والحجاج: ١٦.

([70]) سورة البقرة: من الآية ٢٧٥.

من المسّ الذي بهم؛ بسبب أكل الربا، أو بيقوم أو بيتخبط، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لإختلال عقولهم ولكن لأنَّ الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم"[71].

تجلَّت حِجاجية الشِّهاب الخفاجي في بيانه الصِّلة بين طرفي التَّشبيه آكل الربا في قيامه كالمصروع الذي يدور حول نفسه، وكأنَّه محسوس، بغية تشويه المشبه، الأمر الذي دفع الشِّهاب إلى تعزيز حجيَّته بإيراد حُكمين ورد ذكرهما في هذه الآية: حرمة الربا، وحلِّية البيع. فقد أستهلَّ حجاجه بذكر سبب اختيار الألفاظ المناسبة التي تصور المشهد بدقة كبيرة، وهو الاتيان بلفظة (أكل) دون غيرها، فقال: "فعبَّر بالأكل؛ لكثرة وقوعه فيه، وكثيرًا ما يُعبر به عن الآخذ بغير حق، وهو زيادة في الأجل بسببه لأنَّه نفعٌ أيضًا"[72]. واستدل على مناسبة هذه اللفظة لتصوير الحال بقوله: "وَلِمَا في الربا من معنى الزيادة زِيدَ فيه تفخيم ألفه، ولذا كتبت واوًا"[73]. وأتى بحجَّةٍ ودليلٍ من مضان أهل اللغة على أصل ذلك التَّفخيم الذي أورده، فقال: "وقال الفرَّاءُ :: إنَّهم تعلَّموا الخطَّ من أهل الحيرة، وهم نبط لغتهم ربوا بواو ساكنة، فكتبت كذلك، والتفخيم إمالة الألف نحو الواو"[74]. وقد يكون هذا البيان من الشِّهاب لحرمة أكل الربا استقاه من معين الشَّريف الجُرجاني الذي أبان الفائدة الحِجاجية من استعمال لفظ الأكل دون غيره، فقال: "إنَّ حكمة تخصيص النَّهي بالأكل أنَّ العرب كانت تذمم بالإكثار من الأكل، وتعد البطنة من البهيمية، وتعيب على من اتخذها ديدنه،...فلمَّا كان الأكل أقبح الملاذ، خُصَّ النَّهي به حتى إذا نفرت النَّفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرَّها ذلك إلى النُّفور...فخصت هذه الصُّورة لأنَّ الطبع على الانتهاء عنها أعون"[75].

فيتجلى لنا البعد الحجاجي الإقناعي من تفسير الشِّهاب، واستعانته بالحُجَّة اللغوية والتفسيرية بغية تقوية الفكرة التي رام ايصالها للمخاطب، وكذلك ليؤكد أنَّ لفظ الأكل قد استُعمِل مجازًا في هذا الموضع، وتعد هذه اللفظة مادةَ تصويرٍ يُعبَّر بها عن معنى الأخذ بدون وجه حق، وقد أورد (عبدالله صولة) توضيحًا حول مجازية استعمال لفظة أكل في موضع مشابه؛ ليقتفي أثر السَّابقين، فيقول:

([71]) تفسير البيضاوي: ١٦٢/١.

([72]) حاشية الشِّهاب: ٦٠٤/٢.

([73]) المصدر نفسه.

([74]) حاشية الشِّهاب: ٦٠٤/٢.

([75]) الحاشية على الكشاف للزمخشري: للشريف الجرجاني: ٤٩٥.

"إيثار المجاز على الحقيقة باعتماد مادة تصويرية هي (الأكل) فيه تأكيدٌ للنَّهي بجعل المنهي عنه وهو ضمُّ أموال اليتامى وإنفاقه بمنزلة الأكل الذي هو مذموم عند المخاطبين"[76].

فنلحظ عناية الشِّهاب تكمن في إيضاح جميع أركان الصُّورة، وما تكنُّه من دلالات لفظية، أو مناسبة استعمال للألفاظ المكونة لها، فهو حين يفسر يعرض الدلائل اللفظية الموجبة للتفسير المراد، ويربطها بالصُّور التي تحملها تلك الدلائل، حتى يواشج بين سبب اختيار اللفظ والدلالة الحاصلة به، ليبرهن للمخاطب حجةً مقنعةً على مراد الله تعالى في هذه الآية، وليزرع رابطًا قويًا بين المشبه والمشبه المنتزعة دلالته من الواقع المشاهد والمحسوس، فإنَّه "على نحو ما تلتحم الصُّور بحجج الخطاب ومواضعه، فإنها تلتحم بترتيبه وبأجزاء المكونة لبنائه... فلا بد للحُجَّة من موقع وصياغة ملائمين حتى تظهر للعيان"[77].

لقد سعى الشِّهاب الخفاجي إلى تقديم الحِجاج الإقناعي في التشبيه، وذلك من بيانه لصورة بعث المرابي يوم الحساب بشيء من التَّفصيل، إذ أورد الأدلة لما يقول، حتى يزرع القَبول لمقاله في أسماع المتلقين، فأوضح للمخاطب العلاقة الرابطة في القيام بين المشبه والمشبه به، والذي وصف حال قيامهم بالتَّخبط والاضراب، إذ يقول: إنَّ "المرابي يقوم من قبره كمجنون مصروع بصفة يعرفه أهل المحشر بها عقوبة له"[78]. فأكَّد أنَّ المرابين قد تمايزت حركتهم يوم البعث حتى يُعرَفوا بين الخلائق نَكالًا بهم لما اقترفوه في الدُّنيا، على عكس بقية الخلق الذين أتى وصفهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[79]، أي "إذا بُعثوا خرجوا مسرعين،...والمرابي يسقط ولا ينهض؛ لثقله وكبر بطنه... كما يقال: لمن يسرع بحركات مختلفة قد جنَّ"[80]. فاقتطاف القرآن مشبَّهًا به من الواقع يعطي للنَّص درجة كبيرة لقبول المخاطب لتلك الصُّورة، فيدرك بها العلاقة القائمة بين المشبه والمشبه به، ونلحظ تفصيل الشِّهاب لحالة الممسوس؛ ليحرص أشد الحرص على تقوية الحِجاج في النص، ويكسبه قيمة اقناعية وتأثرية كبيرة، وهذا نجده في قوله: "والخبط الخ يعني أنّ أصله ضربٌ متوالٍ على

([76]) الحِجاج في القرآن: ٥٢٦.

([77]) في بلاغة الحجاج لمحمد مشبال: ٣٢٣.

([78]) حاشية الشِّهاب: ٦٠٤/٢.

([79]) سورة المعارج: من الآية ٤٣.

([80]) حاشية الشِّهاب : ٦٠٤/٢.

أنحاء مختلفة، ثمَّ تجوّز به عن كل ضرب غير محمود كما قال خبط عشواء"[81]. وليشد ذهن المخاطب إلى مقاله، أتى بدليلٍ يوضح حجيّة ما يريد بيانه، فيقول: "وقال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء مَن تصب تُمِتــهُ ومَن يحيى يُعمَّرُ فيَهرَمِ

والعشواء الناقة التي لا تبصر ليلًا، ضرب به المثل لمن يفعل أفعالًا غير مستقيمة[82].

فنلحظ من حجاجية الشِّهاب أنَّ التَّشبيه بوصفه آلية من آليات الحجاج يستعمل للتَّأثير في المخاطب، وإقناعه بالصُّورة التي يحملها، وهي الابتعاد عن الربا؛ لأنَّه مرتع من مراتِعِ الهلكة، وهو سبب يودي بصاحبه إلى النَّار، فضلًا عن بيان مآل من أكلوا الربا يوم البعث، وكيف تصار أحوالهم؟ وبيان النَّتيجة التي أرادها الله تعالى من ذلك التَّصوير والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾[83]. ليلزم العباد بالبيع الحلال، ويصرفهم عن الربا التي توصلهم إلى غضب الله تعالى، فالشِّهاب نراه يبيّن ما حمله التَّشبيه، فيشرع من تفسير ما ورد من كلام البيضاوي، فيعزز ما يقوله بالشَّواهد الشِّعرية، أو أقوال العلماء في تفسيرها، حتى يُقنع المتلقي بمراد الآية، ويقرب إليه مشاهد الصُّور التَّشبيهية التي قد تكون بعيدة عن واقعه؛ ليسهّل عليه استيعابها، وقَبولها.

الخاتمة

([81]) حاشية الشهاب: ٢/٦٠٥.

([82]) ديوان زهير بن أبي سُلمى: ١١٠.

([83]) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

في نهاية هذا البحث أسأل الله أن يكتب لنا التوفيق والإخلاص، وبعد. فإنَّ رحلة البحث في حاشية الشهاب كانت ماتعة مكتنزة لكثير من اللطائف والجواهر البلاغية، وتحوي على الكثير من الآليات الحجاجية التي استعملها الشهاب في حاشيته لتوضيح كلام البيضاوي، وقد حوى البحث على مجموعة من النتائج المهمة التي يمكن أن نجملها بما يأتي:

النتائج:

١- كثر الحجاج عند الشهاب الخفاجي في حاشيته في الصور البيانية، وقل ورودها في علم المعاني والبديع.

٢- برزت أهمية الشهاب الخفاجي في الصور أكثر من غيرها في ايضاحها بالحجج والأدلة لتقريب أركان الصورة إلى المتلقي؛ ليستشعرها ويتأثر بها.

٣- استعان الشهاب الخفاجي في حجاجية التشبيه بالشواهد الشعرية والأمثال العربية، لأقناع المخاطب بها.

٤- سار الشهاب الخفاجي على خطى البيضاوي في تفسير الآيات، وايضاح المراد منها، إذ أبان التشبيه الذي اوضحه البيضاوي وأتى بالطائف البلاغية واشواهد والبراهين لتثبيتها وبيان جمالها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. في النقد الأدبي: د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م: ٦٩. ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب: د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار الفاروق، الأردن، ٢٠١٦م.

٢. دلائل الإعجاز: أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣. الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د.عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤. الحِجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري: حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد١، مجلد ٣٠، ٢٠٠١م.

٥. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرَّازيّ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.

٦. صحيح البخاري: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م.
٧. النّهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد المعروف ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٨. لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
٩. نظرية البيان بين عبدالقاهر والمتأخرين: د. حسن إسماعيل عبدالرزاق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨١م.
١٠. البيان والتبيين: أبي عثمَّان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
١١. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩م.
١٢. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.
١٣. أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت:٣٨٨هـ)، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث، السعودية، ١٩٨٨م.
١٤. مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السَّكاكيّ (ت:٦٢٦هـ)، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
١٥. الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبي الحسن علي بن عبدالعزيز القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
١٦. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر: أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهيل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٧. الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبي الحسن علي بن عبدالعزيز القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
١٨. الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، اشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق، المطابع التجارية، قليوب–مصر، ٢٠٠٢م.
١٩. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاويّ (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٠. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجيّ (ت:١٠٦٩هـ)، ضبطه وأخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٨م.

٢١. ديوان امرئ القيس: امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكِنديّ (ت:٥٤٥م)، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٢. معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب): شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٣. سر الفصاحة: لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، د.تح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٢٤. الصِّلة بين التَّمثيل والاستنباط: بناصر البعزاتي، بحث في كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: تنسيق حمو النَّقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

٢٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت:٦٠٦هـ)، (د.تح)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٦. قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج التأويل الاعجاز): الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨م.

٢٧. الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د. سامية الدّريدي، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ٢٠١١م.

٢٨. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)، د.تح، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٢٩. في بلاغة الحِجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات: د. محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م.

٣٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، صححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧م.

٣١. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الامارات، ٢٠١٣م.

٣٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت:٩١١هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٦٢م.

٣٣. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبدالمتعال الصعيدي (ت:١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، مصر، ٢٠٠٥م.

٣٤. الحاشية على الكشاف للزمخشري: أبي الحسن الشيد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق رشيد بن عمر أعرضي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠١٥م.
٣٥. المخصص: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
٣٦. اللغة والحِجاج: د. أبي بكر العزاوي، دار العمدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
٣٧. ديوان زهير بن أبي سُلمى: شرحه وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.